دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	السياسة الخارجية الروسية الجديدة تقويم للنجاحات والاخفاقات
المصدر:	شؤون الأوسط
الناشر:	مركز الدراسات الاستراتيجية
المؤلف الرئيسي:	يمين، ميشال
المجلد/العدد:	ع63
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
الشهر:	يونيو
الصفحات:	9 - 16
رقم MD:	639315
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الديبلوماسية الروسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/639315

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

السياسة الخارجية الروسية الجديدة

تقويم للنجاحات والاخفاقات

ميشال يمين ×

لقد انقضى سنة ونصف السنة منذ التاسع من كانون الثاني / يناير ١٩٩٦، وهو اليوم الذي أقصي فيه وزير الخارجية الروسي السابق الموالي كلياً للغرب أندريه كوزيريف، ليحل محله في المبنى الشامخ في ساحة سمولنسكايا في موسكو الوزير الحالي يفغيني بريماكوف. وقد تساءل كثيرون آنذاك عما إذا كان سيطول الافتراق مع نهج كوزيريف في السياسة الخارجية مثلما طال إبعاده عن وزارة الخارجية، على رغم اعتراضات الدوما وغير الدوما عليه.

عملياً، لم يكن هناك في روسيا في حينه من مشكك في ضرورة تغيير النهج؛ فتوجه كوزيريف الموالي للغرب، خصوصاً الولايات المتحدة، أودى بالديبلوماسية الروسية في نهاية المطاف إلى سلسلة من الكبوات في الكثير من ميادين النشاط الخارجي.

غير أن تغيير نهج السياسة الخارجية كان أيضاً انعكاساً لتغير جدي في أمزجة الناس بفعل انقشاع أوهام البيريسترويكا الغورباتشوفية وملاحقها «الديموقراطية»، إثر الأحداث الخطيرة التي حلت بالبلاد وما حولها. فالتفكير السياسي «الجديد» الذي جهد غورباتشوف لادخاله في روع الناس والذي طالب البلاد بفتح أبوابها على مصاريعها أمام العالم المحيط، بحيث لم يبق في هذا العالم بحسب زعمهم، من خصم أو مريد شر للدولة السوفياتية، بات المواطنون وكثيرون من أهل الحكم أنفسهم ينظرون إليه كأحد الأسباب الرئيسية لانهيار الاتحاد السوفياتي وكل المنظومة الاشتراكية؛ الانهيار الذي تم على خلفية تصفيق وابتهاج هذا المحيط، وما استتبعهما من تدخل للدول الأجنبية، قاصيها ودانيها، لاقتسام تركة «الرجل المتوفي»، ومن زحف لحلف الأطلسي نحو التخوم الروسية.

وإذ وقع اختيار الرئيس الروسي بوريس يلتسين على رئيس مصلحة الاستخبارات الخارجية ليصبح الوزير المكلف بتغيير النهج السياسي الخارجي، فقد أثار تعيينه تكهنات في الغرب تقول بانعطاف سريع سيحدث في هذا النهج، يرافقه «تعزيز للمطامع الإمبراطورية» الروسية، وترد لعلاقات موسكو بالغرب.

إلا أن في الامكان أن نستنتج بعد الفترة التي انقضت، أن هذه التكهنات إن «صدقت»، فعلى غير تمام. فلم يحدث انعطاف حاد، بل تبديل هادىء للنهج، لم يترك للساسة الغربيين حجة اتهام

(×) كاتب في الشؤون الدولية.

روسيا بالنزوع إلى المواجهة. إلى ذلك بيCن بريماكوف خلال هذه الفترة أنه لا يعتزم الذهاب أبعد من هذا التبديل.

وأول تخل عن الحب الكبير للغـرب برز في الحال على مستوى البروتوكول إياه، إذ إن أولى زيـارات الوزير الجديـد إلى الخارج كانت لجمهـوريات «رابطة الدول المـستقلة»، ولم يلتق وزير الخارجية الأميركي الـسابق وارن كريستوفر إلا في شـباط / فبراير ,١٩٩٦ وكانت العلاقة بين عميدي الـديبلوماسـية في ذاتها دليلاً واضـحاً على تبدل حـال الحوار بين البلـدين على أكثر من صـعيد. فبدلاً من العبـارات التي كانت تستخدم في عهد أنـدريه كوزيريف مثل «الصديق أندريه» و«الصديق وارن»، لم يعد الوزيران يتخاطبان إلا بلقب «السيد الوزير» مع ذكر الشـهرة وحسب. ومما كـان يقوله الديبلوماسيـون الأميركيون يبدو أن التفاوض مع الـوزير الروسي الجديد بات أصعب بكثير مما في الـسابق. فالمواقف الروسيـة بدت أكثر تشدداً، بل حتـى غير قابلة للتزحزح والتراجع في الكثير من المسائل. وفي الوقت نفسه يـؤكد بريماكوف باستمرار أن روسيا لا ترغب في الانزلاق مجدداً إلى سيـاسة التجابه كما كان الأمر زمن «الحـرب الباردة». ولئن كانت العلاقة بالولايات المتحدة، أقوى دولة في العالم اقتصادياً، هي واحد من أهم اتجاهات السياسة الخارجية الروسـية، فإن السير في ركـاب بلد يسعى للـهيمنة هيمنـة مطلقة على العالم بـعد انهيار الاتحاد السوفياتي، كما كان الأمر خلال عهد كوزيريف، لم يعد يتناقض والمصالح الروسية فحسب، بل بات يحمل في طياته المجازفة بأمن روسيا القومي إياه.

تمدد «الناتو» القضية الأهم

هذا التكتيك بدأ يؤتي ثماره شيئاً فشيئاً، وإن أتت متأخرة في أحيان كثيرة. ويتبدى هذا في أجلى مظـاهره، في الحوار حـول توسع حلف شمال الأطـلسي «الناتـو» شرقاً. فالمـوقف السلبي المتشـدد من تمدد حلف الأطلسي أدى دوره في عـدم تضمن الوثـيقة الختاميـة الصادرة عن آخر اجـتماع عقدته «منـظمة الأمن والـتعاون في أوروبا» عـبارة تؤكـد دور «الناتـو» كعصب للأمن الأوروبي، حسبـما اقترحت الولايات المـتحدة. كما أن هذا المـوقف نفسه جعل القمـة الروسية ـ الأمـيركية الأخيرة في هلسـنكي حول موضـوع «الناتو» منعـطفاً في التوجـه الروسي نحو الشرق كموازن لتمدد «الناتو» شرقاً. ومما يـستحوذ الاهتمام أيضاً أن الحلف، وبعد سلسلة مفاوضات صـعبة، قرر خلال دورة مجلسه في كانون الأول / ديـسمبر المنصرم عدم نصب أسلحة نووية في أراضي الـدول التي ستنضم حديثاً إليه، وبدء مفاوضات مع روسيا حول عقد معاهدة بينها وبين «الناتو». ولقد وافقـت روسيا على مباشرة الحوار مع الحلف لتطرح في سيـاقه ليس مسألة إقامة علاقات ما معه فحـسب، بل أيضاً إزالة كل ما من شأنه أن يـثير الهواجس الروسية، والتقليل إلى

الحد الأدنى من كل ما يـنعكس في نشاط الحلف سلباً على روسـيا. من هنا كان الخلاف ولا يزال عـلى مسألة توقيع ميثـاق أو معاهدة بين الطرفين، ذلك أن المعـاهدة، بخلاف الميثاق، بحسب رأي الخبراء، تعني بالنسبـة للروس التزامات حقـوقية وضمانات واضحة وثـابتة لا مجال للتملص منها.

إلا أن هذه الضمانات تبدو اليوم مجرد كلام فـارغ، وقد تصبح غداً بعد انضمام تشيكيا وبولونيا والمجر إلى الحلف المذكور، سراباً لا يغني عن عطش.

فهل من قيمة للحـديث عن نجاحات للـسياسة الخـارجية في هذا الاتجـاه، ما دامت هذه الـدول الأوروبية الشرقية الثلاث ستستلم في تموز / يـوليو المقبل في قمة حلف الأطلسي في مدريد دعوات رسمية للانضمام إلى «الناتو»؟ إن هذه النجاحات تشبه نجاحات فريق خسر المباراة دون تسجيل هدف واحد لصالحه، ولكنه قبل انتهاء المباراة بدقائق صد سلسلة محاولات لهز شباكه.

ثمة من يرى أن اللعبة لن تنتهي في تمـوز / يوليو المقبل خلال قمة «الناتو» في مدريد، بل في عام ١٩٩٩ حين ستنضم هذه الدول رسـمياً إلى الحلف. وحتى ذلك الحين لا يزال هناك متسع من الوقت لمعالجة مسألة زيادة أعضاء الحلف، بحسب مصادر الخارجية الروسية. لكن أياً كانت حنكة وزير الخارجية الـروسي، ومهما بلغ من توقد الذهن، فسـيصعب عليه جداً إحراز مكاسب جدية في الحوار مع الأطلسي.

مواقع متضعضعة

الأمـر هنـا لا يتـعلق ببريماكـوف نفسـه، بل بالإرث الـذي حمCله إيـاه سلفه، وبكل التضعضع والتشرذم والانهـيار الذي أصاب البلد في السنوات العشر الأخيرة، وانحسار تأثيره في مختلف مناطق العالم، من البلقان إلى الشرق الأوسط إلى منطقة المحيط الهادي الآسيوية. فالصرب والمـسلمون والكرواتيـون يصلح ذات البين فيهم ديبلـوماسي أميركي؛ واتفاقـيات السلام بشأن البوسنـة توقع في دايتون وباريـس؛ والسلام الفلسطيني / الإسرائـيلي يعلن في واشنطن، وفيها تبحث عثراته؛ والمـفاعل الذري في كوريا الشمالية يبنيه لـيس حلفاؤها السابقون، بل الأميركيون أعداؤها الثابتون.

ولا يكـتفي الأميركيـون بهذا الـقدر من الـنفوذ في مـناطق العـالم البعيـدة عن الحدود الـروسية، بل يسعـون إلى إحراز أكبر قدر مـنه في الجمهوريات الـسوفياتيـة سابقاً كـأوكرانيا وأوزبكـستان وغيرهمـا، ناهيك بجـمهوريات الـبلطيق. ومعروفـة تصريحات وزيـر الخارجية الأميركي الـسابق وارن كريستوفـر في كييف العام الماضي حول أن «أوكـرانيا هي مجال مصالح حيوية للولايـات المتحدة». وتشعر روسيـا بالقلق من مثل هذه التصريحـات لأنها تعتبر «رابطة

الـدول المستقلة» منطقة مصالحها الجيوسياسية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، والمجال الحيوي للنشـاط السياسي الخـارجي الروسي. وفي هـذا السياق تـسعى روسيـا وراء أهداف سيـاسية أسـاسية: أولها تعـزيز الميل إلى التكـامل في وجوهه كافـة؛ وثانيها تـدعيم الاستقرار وتـسوية النزاعات المحلـية، وبالتالي تدعيم أمن روسيا وبلدان الرابطـة؛ وثالثها معالجة المشاكل الانسانية للمواطنين الروس القاطنين في جمهوريات الرابطة من خلال آليات التعاون والتكامل.

نزوح الكوادر

لقد جاء بريماكوف إلى وزارة الخـارجية في ظل ظروف غاية في الصعـوبة، ليس سياسياً فحسب، بل أيضاً على صعيد الكوادر. فـالجهاز المركزي لوزارة الخارجية كان في وضـع انهزامي وخائر القـوى وعاجزاً عن تنـسيق وتوليف مختلف اتجـاهات السيـاسة الخارجيـة الروسية. ونزوح الكوادر من وزارة الخـارجية لأسباب مادية في الدرجـة الأولى كان نزوحاً عارماً، ذلك أن راتب الديبلوماسيين تـدنى إلى أدنى حد له؛ كل ذلك أدى بدوره إلى تردي وضـع الديبلوماسية، ما انعكـس على عمل الوزير الجـديد أيضاً. وفي ظل هـذه الأجواء والمصاعب أسنـدت إلى بريماكوف مهمة إخراج السياسة الخارجية الروسية من أزمتها. فما الذي تمكن منه حتى الآن؟

إن أهم مـآثره كان أنه «لم يقترف أخطاء تزاد إلى أخطاء سابقه في هذا المنصب»، واستطاع أن يـصون ما تبقى من خير وإيجـابي موروث عن الماضي السوفـياتي حتى مجيئه. وهذا أضعف الايمان، إلا أنـه فن الممكن في الـظروف التـي تمر فيـها روسيـا حاليـاً، سواء لجـهة التـدهور الاقـتصادي أو لجهة عـدم وضوح الرؤيـة السياسيـة. أما إذا انتقلنـا إلى التفاصيل، فـالانطباع يزدوج، والأمور تراوح بين السلبي والايجابي. فما لسياسة روسيا الخارجية في عهد بريماكوف وما عليها؟

سلبيات

إن من بين ما لم تفلح السياسة الخارجيـة الروسية في التغلب عليه خلال الفترة المنقضية منذ تبوء بريماكوف منصب وزير الخارجية:

١ ـ العجز حتـى الآن عن حل مسألـة تعزيز التكـامل في إطار «رابطة الـدول المستقلة»، وغلبة النـزوع إلى التباعد داخل «الـرابطة»، على رغم بعض الأمثلـة القليلة المناقـضة لهذا الزعم، كالاتحاد الروسي ـ البيلوروسي؛

٢ ـ تردي العلاقات مـع أوكرانيا، أهم عنصر من عناصر السياسـة الخارجية الروسية في المـجال السوفياتي السـابق، تردياً بيناً. فأوكـرانيا لا تفتأ «تزحل» غـرباً، وتسمع أصوات تقول

باحتمال انضمامها مستقبلاً إلى حلف «الناتو»، وهو ما لم يكن أحد يسمع به لعام مضى؛

٣ ـ ضعف الصلات والعلاقات مع جورجيا؛

٤ ـ الخلافات مع كازاخستان وأذربيجان حول عدد من القضايا الاقتصادية، ومن ضمنها قضية نفط قزوين؛

٥ ـ تضعضع النفوذ الروسي في ملدافيا وسحب القوات من بريدنستروفييه (يمكن للمرء تقويم هذا الأمر الأخير كما يشاء، لكن لا يمكن إنكار انعكاسه سلباً على مواقع روسيا في جنوب شرق أوروبا)؛

٦ ـ خسران المواقع السابقة في طاجيكستان بعد توقيع الاتفاقيات المعروفة بين الأطراف المتنازعين هناك. غير أن التوقيع في ذاته يبقى انجازاً مهماً؛

٧ ـ تمدد النفوذ التركي اقتصادياً وأيديولوجياً وإعلامياً في المناطق الروسية الجنوبية، وفي الجمهوريات الإسلامية التركية الأصل؛

٨ ـ عجز الديبلوماسية الروسية عن وقف زحف «الناتو» شرقاً؛

٩ ـ ضعف العمل في البرلمان الروسي على إبرام معاهدات دولية مهمة، مثل معاهدة «ستارت ـ ٢» بشأن الأسلحة الهجومية الاستراتيجية، ومعاهدتي السلاح الكيميائي والسلاح البيولوجي؛

١٠ ـ فقدان المزيد من المواقع في البلقان والشرق الأوسط؛

ايجابيات

لا شك أن صعوبات موضوعية حالت دون التقدم في المجالات المذكورة، غير أن الجهود التي بذلتها الديبلوماسية الروسية مؤخراً أثمرت إيجابيات أيضاً، لا بد من تلمسها في الآتي:

١ ـ ارتفع مستوى تنسيق اتجاهات السياسة الخارجية ارتفاعاً ملحوظاً. فبريماكوف واحد من قلائل بين أعضاء الحكومة، السابقة أو الحالية، لهم اتصال مباشر بالرئيس يلتسين، وذلك منذ كان مديراً للاستخبارات الخارجية. وهو لذلك صاحب وزن كبير أيضاً بين أعضاء القيادة الروسية المرتبطين على هذا النحو أو ذاك بقضايا السياسة الخارجية، أمثال سكرتيري ملجس الدفاع ومجلس الأمن ووزيري الدفاع والعلاقات الاقتصادية الخارجية، ومدراء الاستخبارات والأمن ونواب البرلمان. كل هذا كان السبب في تعزيز تفاعل فروع السلطة وشتى الدوائر والمصالح في مجال السياسة الخارجية؛

٢ ـ تحسن وضع الكوادر. فقد توقف تقريباً ذلك النزوح المخيف الذي كان في عهد

كوزيريف، مع أن السبب الـذي يمنع الكثيرين من الموظفين وخـريجي المعاهد من العمل في جهاز وزارة الخارجية لا يزال هو هو: الرواتب المتدنية؛

٣ ـ توقيع معاهدة تقـارب مع بيلوروسيا لم يكتب لها أن تعطي نتائج محسوسة لصالح البلـدين باعتراف الرئيس البيلوروسي لوكاشنكـو مؤخراً. وقد استتبعت في أوائل نيسان / ابريل الماضي بمعاهدة جديـدة حول الاتحاد بين الدولتين. إلا أن العلاقة بـبيلوروسيا هي المثال الأوحد لتجـسد الميل إلى الـتكامل على امتـداد رابطة الـدول المستقلـة، ناهيك بـأن مسيرة التـكامل هذه استحثتها دوافع آنـية كالانتخابـات الرئاسية الـروسية وتمدد «الناتـو» نحو الشرق. أما اتحاد الأربع: روسيا وبيلوروسيا وكازاخستان وقـرغيرستان الذي تأسس بهدف تعميق التكامل بين عناصره في المجالين الاقتصادي والانسـاني، فإنه بقي مشروعاً موقتاً فضفاضاً، وحبراً على ورق تقريباً، مثله مثل رابطة الدول المستقلة؛

٤ ـ تحسين العلاقـات مع الصين. وهذا انجاز مهم جداً لـوزارة الخارجية الروسية، ذلك أن زيارة يلتسين للصين في نيسان / ابريل ١٩٩٦ وزيارة الـرئيس الصيني لروسيا في نيسان/ أبريل مـن السنة الجاريـة، وانشاء لجنة دائـمة على مستوى رئـيسي حكومتي البلـدين، وتعزيز وتكثيف التعـاون العسكـري والتقني، وتـوقيع اتفاقـية ترسـيم الحدود بين الـصين وروسيا وكازاخستان واوزبكستـان؛ كلها عمليات يمكن إدراجـها في خانة نجاحات الـسياسة الخارجية الـروسية. وقد جاء البيـان المشـترك الروسي ـ الصيني الأخير حـــول ضرورة قيام عالم متعدد الاقطاب بمثابة رد على محاولات الأميركيين الاستئثار بالهيمنة على العالم؛

٥ ـ تحـسين العلاقات مع اليابـان باعتبارهـا، بحسب تصريح بريماكـوف أثناء زيارته لـطوكيو في تشرين الثاني / نوفـمبر الفائت، «أحد مراكز هذا العـالم المتعدد الاقطاب». فقد أخذت دعوة موسكـو تلقى صدى إيجابياً لـدى اليابانيين في مجال التعـاون الاقتصادي في منطقة جزر الكوريل الجنـوبية المتنازع عليها منذ زمن طويل، بعد أن كان اليابانيون يرفضون مجرد الحديث عن التعـاون، ويطالـبون موسـكو بالاعـتراف بحقهم كاملاً في هـذه الأراضي التي يسـمونها بـ «الأراضي الشمالية»؛

٦ ـ توقـيع الاتفاقيات المعروفة بين الحكـومة الطاجيكية والمعـارضة الموحدة في موسكو بالذات، وبفضل وساطتها الدؤوبة؛

٧ ـ نجاحات، وإن غير كبـيرة، في الحـوار مع «الناتو»، مـا قـد يتيح بحسب رأي البعض، استفـادة روسيا مـن علاقات مقبـلة مع حلف الأطلـسي، حتى في تـركيبته اللاحقـة. وتلح هنا الخارجية الروسية على عقد معاهدة متكاملة ومفصلة مع «الناتو» تلحظ فيها علاقات خاصة بين روسيا والحلف، بما فيها الضمانات المثبتة حقوقياً؛

٨ ـ التقدم في مسألة تسوية خلافات الحدود مع دول البلطيق، وخصوصاً مع لتوانيا؛

٩ ـ الاتفاق مع الولايات المتحدة في شأن أحد مكونات معاهدة الدفاع المضاد للصواريخ، هو وسائل الدفاع المتدنية السرعة؛

١٠ ـ نشاط روسيا في دفع مجلس الأمن إلى إلغاء العقوبات المفروضة على يوغوسلافيا وإلغاء «الفيتو» المفروض على بيع العراق للنفط؛

١١ ـ تحرير السياسة الخارجية الروسية من إسار الأيديولوجيا بعد ما كانت في عهد كوزيريف «مؤدلجة» إلى الحد الأقصى، وذلك على رغم الحديث الكثير عن ضرورة التخلي عن المنحى الأيديولوجي الذي كان يلتزمه الاتحاد السوفياتي في علاقاته الخارجية. فالوزير الحالي لم يعد يسمع منه خلال زياراته الخارجية انتقاد للمعارضة، يمينية أو يسارية، ونعت للمعارضين بـ «الحمر والبنيين» وبـ «الفاشيست»... الخ، ذك أن «الرياح الأيديولوجية قد تهب في أي اتجاه، أما مصالح الدولة القومية فأعلى من الفكرة سواء كانت ديموقراطية أو شيوعية...»، كما قال أثناء توليه وزارة الخارجية.

هذا الموقف، ناهيك بخبرة بريماكوف في الشؤون الدولية ونفوذه، تجعله من ضمن مجموعة الوزراء التي «لا تحرق ولا تغرق». وقد دلت على صحة هذا التعديلات الوزارية الأخيرة.

خاتمة

إن السياسة الخارجية «الاستقلالية» الروسية تقابلها سياسة «التوازنات» على الصعيد الداخلي. فالرئيس الروسي الذي وضع بريماكوف البراغماتي على رأس الديبلوماسية، وبادر إلى الاتحاد مع بيلوروسيا على رغم معارضة الغرب، وعارض تمدد «الناتو» نحو الشرق، عين في الوقت نفسه في مواقع القرار في الحكومة الروسية ديموقراطيين ليبراليين موالين للغرب، ومنفذين لوصفات وأهداف صندوق النقد الدولي، أمثال تشوبايص ونمتسوف؛ هذا الارتهان لإرادة الصندوق (في مطلبه مثلاً بتصفية «الاحتكارات الطبيعية» مثل «غاز بروم» ومنظومة الطاقة الموحدة...الخ.) لا تبرره «المساعدات» والقروض الشحيحة جداً إذا ما قورنت بما «ينزح» على يد المافيات من رساميل، وبما يمكن لروسيا أن تجنيه من علاقات اقتصادية وتجارية وتقنية أكثر تحرراً وثباتاً مع جيرانها وأصدقائها في مشرق الكرة الأرضية. والمشاريع المشتركة لروسيا مع الصين والهند وإيران، والتي يسعى الأميركيون كل جهدهم لفرط عقودها بشتى الحجج، لدليل على الفائدة العميمة. فهل يحزم الرئيس الروسي أمره ويسلم القرار في الداخل إلى من لا تتعارض مصالحهم مع السياسة المالية، أم أن منطق التعارض بين السياستين الخارجية والداخلية، سيستمر مع / ولأجل بقائه في سدة الرئاسة، فتستمر معه لافاعلية هذه وتلك معاً في

النـطاق العملي؟ لقـد كان الرئـيس يلتســين أول منتقدي الـرئيس الســوفياتي الأخـير ميخائيل غـورباتشوف على «جلوسه على كـرسيين في آن»، وها هو اليوم يـسمح لنفسه بالترف عينه، على رغم سقوط غورباتشوف عن الكرسيين معاً